قبل وداع الفرقة القومية

المال والبنون

حديثنا اليوم عن رواية (المال والبنون) وهي واحدة من الروايات التي فاز مؤلفها بجائزة في المباراة التي أقامتها الفرقة، وعن حظ هذا المؤلف، وقد مثلت له الفرقة في هذا الموسم أيضاً رواية أخرى اسمها طبيب المعجزات

الكلام عن الروايتين لازم واجب، أما الحديث عن الحظ فقد يجرنا إلى التساؤل، وإلى الحدس والتخمين، وإلى نقل مايقوله الأدباء في مجالسهم عن الحظ والمحظوظين، وعن الوسائل التي توصل الأديب المغمور إلى الحصول على كلمة السر التي تجعل متكود الطالع سعيداً وإن كان جبل في الأصل من طينة فيها جميع خصائص الشقاء وعناصر التعاسة. ولذلك سنضرب صفحاً عنه لأن غايتنا من نقد الفرقة كما قلنا هي تقويم اعوجاجها وذلك أمر مستطاع لا شك فيه. وإن رجال الفرقة في زعمنا مهما تصاموا عن سماع كلامنا، وتغاضوا عن نقدنا، وأسرفوا في تأويل البواعث على متابعة الكتابة في إظهار العيوب التي أوصلت الفرقة إلى المنحدر الخطر، ومهما حاولوا المكابرة في احتمال سهام الحقيقة الجارحة فإنهم ولا بد راجعون إلى أقوالنا وإلى نصائحنا، وإن الغفوة التي تثقل أجفانهم سيعقبها ولا شك يقظة وانتباه. ورب دغدغة أو وخزة تنجي من خطر محقق، وسيان أكان المدغدغ أو الواخز حبيباً أو عدواً، فضلاً عن الناقد الذي لا يعرف الحب والبغض في الأدب والفن

لن نتكلم إذن عن حظ المؤلف بل نقصر كلامنا على الروايتين، فالرواية الأولى « طبيب المعجزات » لم تتحدث الصحف عنها بخير ولا شر، والإهمال أقصى عقوبة يجازى بها المؤلف الفاشل. وقد انفردنا بتلخيصها للقراء ولم نشأ أن نعلق عليها مخافة أن نرى بحب الهدم الذي يضطرم الناشئين أمثال مؤلفها الشاب، ولكيلا يقال إننا نتخذ أمثلة عنيا من أدب المسرح الغربي نقيس بها أعمالنا وما نرجوا في دور التكوين بعد. وسألخص رواية « المال والبنون » أيضاً فأضعها نصب عين القارئ، وليسأل هو عن الباعث على تمثيل روايتين هزيلتين في موسم واحد لمؤلف واحد؟

والرواية حكاية شاب طبيب يدعو الناس بحرارة إلى اعتناق مبادئه التي يؤمن بها، وهي تتلخص في أن البنين آفة الزواج، وأن كثرة الأولاد مسغبة وفقر، وأن منع الحمل يساعد على الزواج المبكر، وأن تربية النسل متعة يجب أن تقتصر على الأغنياء، وأن تكرار الولادة خطر على صحة الأم، وأن لا بد من تنظيم الحمل، ومن إيجاد مراكز لرعاية الطفل، ومن فرض ضريبة على العزاب

وهذا الطبيب صاحب هذه « التشكيلة » من المبادئ له أنصار من الفتيات اللواتي يستمعن إلى القائل لا إلى ما يقول، وله معارضون ممن تعلموا في مدرسة الزمن أن مثل أقواله هراء في هراء، والطبيب هذا يحب ابنة عمه ويرغب في الزواج منها؛ غير أن والدها يمانع في هذا الزواج ويصرح باستحالته للطبيب، وقد حضر ليطلب يدها من والدها، لأنه قد اتفق مع عمه على تزويجه بابنته، والفتاة تصغي إلى نصيحة أبيها ولا تلتفت إلى عواطف الشباب وزواته وتقبل أن تتزوج من عم الدكتور وترفض الدكتور نفسه وتجابهه بهذا الرفض

وإذ يسمع الطبيب بانصياع الفتاة لأقوال أبيها ورضاها بالزواج من عمه الهرم يهرب من المدينة ويذهب إلى انجلترا في بعثة يعود منها بعد خمس سنوات فيجد أن عمه قد مات وأن زوجة عمه رزقت غلاماً منه قد ورث كل ما تركه

استيقظ الحب الهاجع في نفسه فعاد يطلب الزواج من أرملة

عمه غنى وغير أن لها ولداً ، ولما تزوج منها أحب ولدها وصار يتمنى أن يكون له ولد من صلبه

كاشف زوجته بالأمر فناقشته فى آرائه ومبادئه فأعلن تنازله غضبا ، واقتادها إلى طبيب إخصائى قال له إن زوجته عقيم لا تلد

قامت قيامة الطبيب يسائل من أين جاءت زوجته بابن عمه وهى عقيم، وثارت ثورته عليها فيلمها ويصارحها بأنها امرأة عقيم مرذولة وأنها رضيت بالزواج من عمه لتستولى على ماله وتحرمه إياه . ويظهر أخيراً أن الولد الذى يقال إنه ابن عمه إنما هو ابنه قد استولده من فتاة خادمة أغواها وقد جاءت به جدته إلى هذه العائلة لترعاه ، أما أمه فقد ماتت بعد الولادة

لقد أحييت مبادئ الدكتور بطل الرواية « تشكيلة » وقد وفق المؤلف حقاً فى جمل وقائع الرواية تشكيلة تشبه « ألبوم » طوابع البريد فيه مجاميع مرتبة ، هذه للدولة الفلانية، وتلك للجمهورية العلانية؛ أما قيمة الألبوم فلا يقدرها إلا الموسرون العاطلون الذين ليس للوقت عندهم قيمة

أنا لا أقول إن تقدير رجال الفرقة القومية لهذه الرواية ولأختها التى صنفها المؤلف ومثلتهما الفرقة فى موسم واحد هو من نوع تقدير الهاوين لمجاميع طوابع البريد ؛ ولكنى أسأل هل الإفلاس حفزهم إلى تمثيل روايتين ضعيفتين عرضاً وموضوعاً، أم أنهم قدروا فى مؤلفهما نبوغاً قصرت مداركنا المتواضعة عن فهمه ؟

تدل المسارح القومية الناس فى فرنسا وفى غيرها على تطور الروح القومى ، وعلى معيار فهمه للحياة ، فهل مسرحنا القومى بمديره اللوذعى ، ورجال لجنة القراءة ، وأبطال التأليف ، وما مثلته الفرقة خلال أربع سنوات يدل من قريب أو بعيد على تطور الروح القومى المصرى ، وعلى معيار فهمه للحياة ؟

اللهم كلا !

من المفهوم « أن حياة الأدب إن لم تتصل بنفس الأديب وروحه ، وإن لم يظهر وحيها فى آثار حياته كان الأدب فاتراً ضعيفاً » . وهذا عين ما لمسناه من فتور وضعف فى روايتى المال والبنون وطبيب المعجزات اللتين طاب للفرقة القومية أن تتحف الناس بهما فى موسم واحد

ومن المعروف أيضاً عند الأدباء أن خير ما يكفل وضوح ذاتية الأديب فى أدبه أن يتصل ما يكتب بقلبه وعقله وكل حياته ، وليس ذلك بمستطاع إلا حينما نصف حياتنا وحياة آبائنا والبيئة التى أنبتتنا ، والوراثة الكامنة فينا ، فنصل بذلك حاضرنا بماضينا ، ونصور حياتنا . وحياة تومئ زوطننا ، وكل ما توحى هذه الحياة للعقل ، والقلب ، والحس ، والشعور . فهل فى هاتين الروايتين الموضوعتين ما يلمس هـذه القواعد المعروفة عند كتاب الرواية ؟

المفروض أن الرواية إنما تصور الحياة تصويراً صادقاً تمليه العاطفة ، ويحلله العلم ، ولكن مؤلف رواية المال والبنون إنما ترك الحوادث للمصادفات ، ولم يلتفت ألبتة إلى تحليل هذه الحوادث ومراقبتها ، وتقدير احتمالاتها ، واستشعار المستهجن فيها والنابى عن الذوق ، والمتنافر مع الواقع ، والبعيد عن الحياة المصرية وبيئتها .

* * *

لم يبق مما تمثله الفرقة فى موسمها الحالى سوى رواية واحدة . وأرى لزاماً على ، خدمة للفرقة التى يحرص على بقائها كل أديب يتمنى الخير لأمته ويفاخر بنهضة هذه الأمة الفتية ، أن أواصل النصح فى إظهار العيوب التى رآها الناس رأى العين وشعروا بها بارزة فى أعمال هذه الفرقة التى أسموها قومية ، فإن أفلحت فى إيقاظ ما هجع من همم رجالها فذلك حسبى، وإن لم أفلح فسأدأب حتى تفوز الفرقة القومية بالنجاح والظفر والمجد

ابن عساكر

الحـــــديقة والمنزل

مجلة الفن والثقافة

تنفرد (الحـديقة) بعنايتها بالحركات الأدبية والعلمية والاجتماعية ، وفلاحة البساتين ، وبأنها المجلة الأولى من نوعها فى الشرق رعايةً للشئون المنزلية والسعادة البيتية فوقفت كثيراً من صفحاتها على ما يهم المرأة من أشغال وتدبير منزلى وشئون دار وصناعات زراعية كما عنيت بتزويد النشء بالثقافة من أسهل مواردها ، وتابعت الحركات الأدبيـة فى الشرق والغرب وأحكمت الصلات بينها .. كل ذلك فى أسلوب عف وعبارة سلسة وذوق سليم جعلها عروس المجلات .

اطلبها من الباعة فى أنحاء الشرق والعروبة
فى صبيحة الاثنين من كل أسبوع